

## المحاضرة الرابعة: المعتزلة ببلاد المغرب

انطلق الفكر الاعتزالي من بصرة العراق حين عارض واصل بن عطاء شيخه الحسن البصري في عديد القضايا الفكرية الدينية، لتنتشر تلك الأفكار في عديد مناطق العالم الاسلامي ومنها بلاد المغرب، ويبدو أن فكر الاعتزال قد دخل مبكرا إلى المغرب مزامنة مع الفكر الخارجي والشيوعي، وتشير بعض المصادر إلى أن أول من أدخل ذلك الفكر إلى المنطقة عبد الله بن الحارث مبعوث واصل بن عطاء، وذلك منذ العقود الأولى من القرن الثاني للهجرة بين سنتي (100 و110هـ/718 و728م)، وقد تزامن قدومهم مع ببعثة الفقهاء 16العشر من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز.

ومن العوامل المساعدة على نشر مذهب الاعتزال في إفريقيا خاصة والمغرب عموما، وجود الفقهاء الأحناف زمن الأغالبة، وهناك تقارب فكري بين المعتزلة والأحناف حيث أن الأخيرين بالمشرق قد مالوا إلى تعاليم المعتزلة، وبخاصة بعد أن أصبح الاعتزال المذهب الرسمي لبعض خلفاء الدولة العباسية، فانتشرت بذلك أفكار المعتزلة وسادت آراؤهم، كما ازداد عدد منتحلي أفكارهم، فقويت شوكتهم، ودارت الدائرة على فقهاء المالكية الذين حاولوا محاربتهم والتصدي لهم .

أما بالمغرب الأوسط فقد رصدت المصادر خاصة الاباضية منها ظهور كبير لجماعة المعتزلة بتاهرت وأشارت أن لهم تأثير بالغ في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية أيضا، وأشار البكري إلى تجمع كبير للمعتزلة وذكرهم بالواصلية نسبة لواصل بن عطاء وكان قريبا من تاهرت، وكان عددهم نحو ثلاثين ألفا، في بيوت كبيوت الأعراب يحملون السلاح.

وقد أشارت المصادر الاباضية إلى الصراع الذي دار بين إمام الدولة الرستمية عبد الوهاب بن ع الرحمان بن رستم وبين الواصلية وكيف انتقل الصراع من المناظرات الفكرية العقدية بينهم إلى المعركة المسلحة والتي انتهت بكسر شوكة الواصلية وخضوعهم للرستميين .

وبشمال المغرب الأقصى وبالضبط في أوليلي التي لا تبعد كثيرا عن فاس كوّن أتباع الواصلية تجمعا كبيرا تزعمه إسحاق بن محمد بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي، وإلى هذه المدينة التجأ إدريس بن عبد الله الطالبي الهاشمي من أحفاد علي بن أبي طالب سنة 172هـ/787م فاستضافه إسحاق وأكرم ضيافته ومكث عنده نحو ستة أشهر. ثم جمع إخوته وأعيان قبيلة أوربة وعرفهم بنسب إدريس وقرابته من النبي صلى الله عليه وسلم، فرحبوا به وبايعوه بأوليلي في يوم الجمعة 14 من شهر رمضان سنة 172هـ/787م، وقد أشار الشهرستاني الى هذه الطائفة بقوله: "وبالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة في بلد إدريس بن عبد الله الشريف الحسني الذي خرج بالمغرب في أيام أبي جعفر المنصور.

وعموما شارك المعتزلة في إدارة شؤون الدولة الإدريسية، فقد اتخذ إدريس الأول وزراءه من أوربة الاعتزالية وقامت دعامة جيشه على وجوه زناتة وأوربة،

كما أن أولي الاعترالية ظلت قاعدة الدولة حتى بعد وفاته. كما ولى القضاء عدد من رجالات المعتزلة في أفريقية الأغلبية كما تمكنت المعتزلة من إقامة كيانات سياسية قامت بضرب عملات، حاولت الاستقلال؛ مستغلة الضعف الذي حل ببني رستم، والأدارة ونشير إلى تلك الكيانات والإمارات فيما يلي:

– قبيلة أوربة: وهي في ذلك الوقت أعظم قبائل بلاد المغرب، وفيها مدن كثيرة، وعاصمتها طنجة، وكانت هذه القبيلة على مذهب المعتزلة كما ذكرنا آنفا .

– بلدة البيضاء: وقد ذكر البلخي أن فيها مائة ألف يحملون السلاح، يقال لهم الواصلية.

– مدينة أيزرج: أو إمارة أيزرج كما في المصادر، هي مدينة تلي تاهرت، وقد كانت تحت ملك إبراهيم بن محمد البربري المعتزلي.

خلف الوجود الاعترالي في بلاد المغرب إرثا فكريا تجذر من خلال مناظرات جهابذة المعتزلة مع الفرق الأخرى وخاصة الإباضية على العهد الرستمي والتي اتضح من خلالها مهارة المعتزلة الجدلية واتساع مداركها وقدرتها على الإلمام بجوانب المناظرة، ونتج عن ذلك إثراء حركة التأليف، ورواج آراء المعتزلة، وأهمها قضية "خلق القرآن" وما تركته هذه القضية من أثر على المعتزلة نفسها، كما أكسب نشاط المعتزلة الفرق المخالفة لها روح الجدل والتضلع في علم الكلام، والذي أصبح ضمن وسائل وأدوات المذهب المالكي فيما بعد على عهد الأشعريين، رغم المعارضة الشديدة لإحفاذ مالك لعلم الكلام حتى اعتبره بعضهم ضربا من ضروب الكفر.

#### مصادر ومراجع المحاضرة الرابعة

- 1- أبو العرب: طبقات علماء أفريقية وتونس.
- 2- أبو بكر المالكي: رياض النفوس، ج1.
- 3- الدرجيني : الطبقات ،ج2
- 4- الشهرستاني: المثل والنحل، ج1
- 5- ابن خلدون: المقدمة،
- 6- نجم الدين الهنتاتي: المذهب المالكي بالغرب الاسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري.
- 7- سهيل قاشا: المعتزلة ثورة الفكر الاسلامي الحر
- 8- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2005.
- 9- منى حسن محمود حسانين، جامعة عين شمس 2007، مقالة في الانترنت
- 10- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي.
- 11- عبد اللطيف الحفظي: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعه

- 12- جوزيف فان آيس: علم الكلام والمجتمع، ج.1، ج.2
- 13- جوزيف فان آيس: نشأة علم الكلام في الإسلام، مجلة الأصالة،  
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد 25، 1395هـ/1975م
- 14- المنصف قوجة : تاريخ الإباضية الديني والسياسي (من القرن الأول  
إلى القرن السادس هجري)،
- 15- علي عبد الفتاح المغربي: الفرق الإسلامية مدخل ودراسة،
- 16- كرلو ألفونسو نلينو: الصلة بين مذهب المعتزلة ومذهب الإباضية  
المقيمين في أفريقيا الشمالية، مقالات مجموعة في كتاب "التراث اليوناني  
في الحضارة الإسلامية (دراسات لكبار المستشرقين)"،